الأزهر



من أحكام القرآن وعلومه

لفضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

هدية "مجلة الأزهر" شوال ١٤١٠ هـ

اهداءات ٢٠٠٢

أ/حسين كامل السيد بك فهمى

الاسكندرية

من أحكام القرآن وعلومه

لفضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

هدية "مجلة الأزهر" شوال ١٤١٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

فى حديثنا عن الذكر الحكيم .. كتاب رب العالمين نستعيد وصفَ رسولِ الله محمد صلوات الله وسلامه عليه للقرآن ، حيث يقول فيما رواه الترمذى :

(كتاب الله فيه نبا من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم مابينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله . هو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم . وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لاتزيغ به الأهواء ، ولاتلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يَخْلَقُ على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ . . . ﴾[1] .

من قال به صدق ، ومن عمل به أُجِر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هُدَى إلى صراط مستقيم) .

هذا القرآن :

هو كلام الله المعجز ، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بوساطة جبريل عليه السلام ، المكتوب فى المصاحف .. المنقول إلينا بالتواتر . المتعبد بتلاوته ، المبدوء بسورة الفاتحة .. المختتم بسورة الناس .

---

(١) من الآيتين ١ ، ٢ سورة الجن .

فضل القرآن

وفى فضائل القرآن وعلومه قال الله سبحانه :ـ

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وأنفقوا مما رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُور ﴾[٢]

وقال : توجيها وتعليما لأمة القرآن :

﴿ وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾[٣] .

وقال دعوة لتدبر القرآن وفهمه :

﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾[٤] .

وفى أحاديث رسول الله ﷺ قوله :

(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[٥] وقوله :

(الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتعتع فيه أى (تصعب قراءته عليه) وهو عليه شاق ، له أجران) .[٦]

---

(٢) الآية ٢٩ سورة فاطر

(٣) الآية ٢٠٤ سورة الأعراف .

(٤) الآية ٢٤ سورة محمد .

(٥) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وغيرهم .

(٦) رواه البخارى ومسلم واللفظ له وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

وقوله : [٧]

(إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ماااستطعتم) .

فعلينا أن نتواصى بتلاوة القرآن وبالعمل به .

ذلك : أن من لم يقرأ القرآن فقد هجره ، ومن قرأ القرآن ولم يتدبر معانيه فقد هجره ، ومن قرأه وتدبر ولم يعمل بما فيه فقد هجره .

ذلك مايشير إليه قول الله : ﴿ وقال الرسول يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا ﴾[٨] .

إنه لاعذر للمسلمين فى هجر القرآن ، وعليهم أن يتعلموه ويعلموه أولادهم .

---

(٧) رواه الحاكم من حديث لعبد الله بن مسعود .

(٨) الآية ٣٠ سورة الفرقان

آداب تلاوة القرآن

إنه لحق على كل مسلم ومسلمة تلاوة القرآن وترتيله ، وحفظ بعض آياته بمقدار مايؤديه في صلواته على الأقل .

قال الله سبحانه :

﴿ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ﴾(٩) .

وقال : ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾(١٠) .

والترتيل : تفخيم ألفاظه والإبانة عن حروفه ، وأن يسكت بين النفَس والنفَس حتى يرجع إليه نَفَسُه .

فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله . فإن كان يقرأ تهديدا لفظ به لفظ المتهدد ، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم .

وعلى المسلم حين يتلو القرآن أن يأخذ نفسه وأهله بما فيه من أحكام ذلك قوله تعالى :(١١) .

﴿ يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ﴾ .

وقوله : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة .. ﴾(١٢) .

---

(٩) الآية ١٠٦ سورة الإسراء

(١٠) من الآية ٤ سورة المزمل

(١١) من الآية ٦ سورة التحريم

(١٢) من الآية ١٣٢ سورة طه

إذ بمقتضى هاتين الآيتين وغيرهما صار كل أحد مسئولا عن أمر أهله فى صلاتهم وصيامهم وأداء مايلزمهم فى طهاراتهم وجناباتهم وحيض النساء ونفاسهن .

نعم : على كل أحد أن يتفقد أهله بالسؤال فى أمور الحلال والحرام والعبادات .

فقد وضع لنا رسول الله ﷺ ذلك المبدأ . بل حمل الآباء والأمهات مسئولية تنشئة الصغار على الدين وتعليمهم أحكامه فى قوله :(١٣) .

(مروا صبيانكم بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر سنين) .

ولاشك أن تعليم الصلاة يقتضى تعليم الطهارة على نحو ماجاء به القرآن فى قوله تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ﴾(١٤) .

---

(١٣) رواه أحمد وأبو داود

(١٤) الآية ٦ سورة المائدة

حيث بينت الآية الوضوء والاغتسال والتيمم .

كما يقتضى تعليم القرآن بالقدر الذى تصح به الصلاة على الأقل .

حكم تعليم القرآن

وتعليم القرآن بوجه عام فرض كفاية ، لكن حفظه واجب على الأمة ، بحيث لا ينقطع عدد التواتر فيه ، ولايتطرق إليه التبديل والتحريف .

فإن قام بذلك جماعة من الأمة سقط عن الباقين ، وإلا فالكل آثم .

فإذا لم يكن فى البلد أو القرية من يتلو القرآن أثموا بأسرهم .

ومثل هذا فى الحكم المفتى والمدرس ، لا إثم عليهما بالامتناع عن الفتوى والتعليم إذا كان هناك من يصلح لذلك .

أما إذا لم يوجد من يصلح ، لم يجز شرعا الامتناع عن الفتوى أو التعليم .

كالمصلى يريد تعلم سورة الفاتحة ، ولا يوجد غير معلم واحد ، وجب على هذا تعليمه السورة ، وإلا كان آثما .

ترتيب القرآن

وينبغى أن تكون تلاوة القرآن وتعليمه على الترتيب المعهود بالمصحف للآيات والسور ، فقد انعقد الإجماع على أن ترتيب آيات القرآن الكريم على ذلك الوجه الثابت بالمصحف كان بتوقيف من رسول الله ﷺ عن الله تعالى ، وأنه لا مجال للرأى ولا للاجتهاد فيه ، حيث إنه كان ينزل جبريل عليه السلام بالآية والآيات على الرسول ﷺ ، ويرشده إلى موضع كل آية من سورتها ، ثم يقرؤها النبى ﷺ على أصحابه مبلغا ، ويأمر كتاب الوحى بكتابتها مبينا لهم السورة التى تكون منها الآية وموضع الآية من هذه السورة .

وكان يتلوه عليهم مرارا فى الصلاة والعظات ، وفى الحكم والأحكام .

وقد كان الرسول ﷺ يعارض به جبريل كل عام مرة وفى العام الأخير من حياته عارضه مرتين . [صحيح البخاري - كتاب فضائل القرآن] .

كل ذلك كان على الترتيب المعروف لنا الآن فى المصاحف .

ونقل كذلك بالتواتر ، بعد أن جُمِع على هذا الترتيب فى عهد أبي بكر ثم فى عهد عثمان والأحاديث الصحيحة فى ذلك كثيرةٌ مثْبتةٌ فى كتب السنة .

وكلهاتنطق بأن الرسول كان يقرأ فى صلواته سورا بأكملها . أما ترتيب السور على الوجه الوارد بالمصاحف . فقد اختلفت كلمة العلماء فى شأنه إلى ثلاثة أقوال : ـ

(أ) أن هذا الترتيب ليس توقيفا من النبى ﷺ ، ولكن كان باجتهاد من الصحابة .

(ب) أن ذلك الترتيب كله توقيفى بتعليم رسول الله ﷺ .

(جـ) أن ترتيب بعض السور توقيفى ، وترتيب بعضها الآخر كان باجتهاد من الصحابة .

ولكل فريق من أصحاب هذه الآراء أدلة أوردها مستندا إليها . وسواء أكان ترتيب السور توقيفيا كله أو بعضه أو اجتهاديا كذلك . فإنه ينبغى احترامه والوقوف عنده .

لاسيما فى المصاحف ، لأنه إجماع الصحابة ، والإجماع حجة ولأن خلافه يجر إلى الفتنة .. ودرء الفتنة وسد ذرائع الفساد واجب . لكن ترتيب السور فى التلاوة ليس بواجب إنما هو مندوب .

فإذا خالف القارىء فى الصلاة أو خارجها فقرأ سورة ، ثم قرأ سورة قبلها جاز ذلك وإن كره جماعة من العلماء مخالفة ترتيب المصحف . لما رواه أبو داود عن الحسن من أنه كان يكره أن يقُرأ القرآن إلا على ترتيبه فى المصحف .

ولما رواه أبو داود أيضا بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أنه قيل له : إن فلانا يقرأ القرآن منكوسا فقال : (ذلك منكوس القلب) .

وأما قراءة السورة من آخرها إلى أولها ، فممنوع منعا

باتا . لأنه يذهب بعض أوجه الاعجاز ويزيل ترتيب الآيات الثابت توقيفا .

اما تعليم الصبيان او المبتدىء من آخر المصحف إلى أوله فحسن ، لما فيه من تسهيل الحفظ ، فضلا عن انه تلاوة منفصلة فى مجالس وايام متعددة .

عدد الآيات في كل سورة

الآية طائفة من القرآن لها بدء ونهاية ، وتحديدها توقيفي مأخوذ عن رسول الله ﷺ ، واختلاف السلف فى عدد الآيات عموما ، وفى عدد آيات بعض السور خاصة ؛ مرجعه إلى اختلاف السامعين عن الرسول ﷺ فى ضبط الوقف والوصل فالمعروف أنه كان ﷺ يقف على رءوس الآى للتعليم والتوقيف ، فإذا عُلِم محلها وصل للتمام ، فوهم بعض السامعين عند الوصل أن ليس ثم فصل ، ومن هنا كان الخلاف فى عدد الآيات .

عدد الكلمات والحروف

كتب بعض الناس عدًا لكلمات القرآن ، بل ولحروفه .

واختلفوا فى ذلك اختلافا بينا . وقد قيل إن سبب الاختلاف فى العد أن الكلمة فى القرآن لها حقيقة ومجاز ، ولفظ ورسم ، واعتبار كل منهما جائز ، وقد اعتبر كل واحد من العلماء فى عده أحد ماهو جائز .

قال السخاوى :

(لا أعلم لعدِّ الكلمات والحروف من فائدة ، لأن ذلك إن أفاد فإنما يفيد فى كتاب يمكن فيه الزيادة والنقصان .. والقرآن لا يمكن فيه ذلك) .

والمحاولات التى يجريها بعض الناس الآن لعد حروف القرآن أو كلماته بالآلات الحاسبة لاطائل تحتها ، ولا تعتبر خدمة لكتاب الله أو ملحقة بعلوم القرآن .. فقد جرت عبارات العرب قديما على إطلاق اسم الكلمة على جملة من الكلمات :

(وكلمة بها كلام قد يؤم) .

والأولى صرف الهمة والجهد إلى ما وراءه المنفعة للمسلمين والحفاظ على الكتاب المبين .

أخذ الأجر على تعليم القرآن

وبهذه المناسبة : يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن وتحفيظه . ففى صحيح البخارى : (إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله) .

ووردت السنة الصحيحة أن الرسول ﷺ جعل تعليم القرآن مهرا فزوج أحد أصحابه امرأة بما معه من القرآن .
[انظر صحيح البخاري - كتاب النكاح] .

والأفضل للمعلم أن يشرط الأجرة للحفظ وتعليم الكتابة .

وعلى كل مسلم ومسلمة أن يداوم على تلاوة القرآن ، بعد أن يتعلم هذه التلاوة وآدابها وأحكامها . فإن الله قد أثنى على من كان دابه تلاوة آياته . فقال : ﴿ يتلون آيات الله آناء الليل ﴾(١٥) وسماه ذكرا وتوعد المعرض عنه ، فقال : ﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ﴾(١٦) .

ونبه رسول الله ﷺ إلى ضرورة تعهد القرآن بالتلاوة فقال : (١٧) (تعاهدوا القرآن ، فو الذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل فى عقلها)وقال : (١٨) .

---

(١٥) من الآية ١١٣ سورة آل عمران

(١٦) من الآية ١٢٤ سورة طه

(١٧) رواه مسلم من حديث أبى موسى الأشعرى .

(١٨) رواه البخارى من حديث عبد الله بن مسعود - هكذا - ورواه مسلم موقوفاً .

(بئسما لاحدهم يقول : نسيت آية كيت وكيت ، بل هو نُسِّيَ) .

وهذا أدب مع القرآن يوجهنا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينبغى أن نحرص عليه ، وأن نتعاهد على حفظه وتحفيظه كباراً وصغاراً نساء ورجالاً .

استحباب التطهر للقراءة

وقد استحب العلماء الطهارة للقراءة ، كطهارة الصلاة ، والتزين بالملابس ، كما يَتَجَمل للقاء الناس ، إذ بتلاوة القرآن يناجى المسلم ربه ويكون بين يديه ، فكأنه فى الصلاة كما يستحب استقبال القبلة جالساً حال التلاوة ..

هذا . ويحرم على الجنب والحائض والنفساء تلاوة القرآن . ويستحب كذلك التعوذ قبل القراءة ، ولابد من قراءة البسملة أول كل سورة تحرزاً مما قال به الإمام الشافعى من أن البسملة آية من كل سورة .

ولتكن تلاوة القرآن أخذا من أهل الإتقان ، فقد كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجتمع به جبريل عليه السلام فى رمضان فيدارسه القرآن .

[البخاري ـ بدء الخلق ص ١٨٥] .

أفضلية التلاوة من المصحف

نقل أن الأكثرين من الصحابة كانوا يقرءون فى المصحف ، ويكرهون أن يمضى يوم دون أن ينظروا فى المصحف ، وفى كتب السنن آثار كثيرة تدل على فضل التلاوة من المصحف ، على التلاوة ظاهراً باعتبار أن النظر فى ذات المصحف عبادة .

كما روى أبو داود بسنده عن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت : (النظر إلى الكعبة عبادة والنظر فى وجه الوالدين عبادة والنظر فى المصحف عبادة) ..

هذا : ولعلّ أولئك الذين يضعون المصاحف فى المنازل والسيارات معلقة للتبرك يستمعون معنا إلى هذه الأحكام فيفتحون هذه المصاحف يومياً للتلاوة والنظر فيها أى قدر من الآيات حتى لا يكونوا ممن اتخذوا هذا القرآن مهجوراً .

هذا : وقد اختلف العلماء فى مس المصحف على غير وضوء .

فجمهور الفقهاء على تحريم ذلك أخذا من ظاهر قوله تعالى : ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾[١٩] .

وذلك فيما عدا الصبيان ومعلمهم أيضاً ، فإنه يجوز لهم مس المصحف على غير وضوء وضرورة .

---

(١٩) الآية ٧٩ سورة الواقعة .

من آداب التلاوة

أن يفصل القارىء للقرآن كل سورة عما قبلها .. ويحسن أن يكون ذلك ببسم الله الرحمن الرحيم . وأن لا يقرأ من أخرى إلا بعد الفراغ من الأولى .

روى البيهقى بسنده قال :

(كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُقَطِّع قراءاته آية .. آية) .

ثم عقب بقوله :

ومتابعة السنة أولى فيما ذهب إليه أهل العلم بالقراءات من تتبع الأغراض والمقاصد وعلى قارىء القرآن أن يجتنب تلاوته فى الأماكن القذرة وفى الأسواق حيث يكثر اللغو والإعراض عن التدبر والفهم .

ويستحب ختم القرآن فى كل أسبوع .

فقد روى أبو داود بسنده قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

(اقرأ القرآن فى كل سبع ولا تزد) .

والصحيح أن ذلك يختلف من شخص لآخر حسب النشاط والضعف والحرص على التلاوه والانشغال ، لكن الأولى للمسلم أن يداوم على التلاوة وأن يجعل القرآن وردهُ الدائم لأنه مناجاة الله سبحانه بكلامه .

هــذا :

وقد روى البيهقى فى دلائل النبوة وغيره أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يدعو عند ختم القرآن :

اللهم ارحمنى بالقرآن .. واجعله لى أماناً ونوراً .. وهدى ورحمة ..

اللهم ذكرنى منه ما نسيت ، وعلمنى منه ما جَهِلْت ، وارزقنى تلاوته آناء الليل ، واجعله لى حجة يارب العالمين .

آداب الاستماع للقرآن

يسن الاستماع لقراءة القرآن وترك التحدث واللغط امتثالاً لقول الله سبحانه : ﴿ وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾[20] .

بل وحتى لا يدخل من يعرض عن سماع القرآن فى نطاق قوله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾[21] .

---

(٢٠) الآية ٢٠٤ سورة الاعراف .

(٢١) الآية ٢٦ سورة فصلت

المصاحف التى بليت أوراقها

لقد دأب المسلمون على تعظيم كتاب الله والمحافظة عليه ، فإذا بليت أوراق المصحف أو بعضها فالأولى إحراقها حسبما أحرق عثمان ـ رضى الله عنه ـ بعض المصاحف التى كانت تحوى آيات وقراءات منسوخة أو مضافاً إليها تفسيرات سمعها كاتبوها ، وكان ذلك بمحضر من الصحابة ولم ينكر عليه أحد .

اقتباس بعض القرآن
فى الحديث والكتابة

ورد فى كتب السنة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اقتبس فى مراسلاته من القرآن فكتب إلى هرقل : (**سلام على من اتبع الهدى**) ، (**ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء**) .

ومن دعائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ[٢٢] (**اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**) .

وقوله : (**اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً اقض عنى الدين واغننى من الفقر**) .

وفى سياق كلام لأبى بكر ـ رضى الله عنه ـ حينما عهد إلى عمر بالخلافة قال :[٢٣] (**وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون**) .

لكن الاقتباس من القرآن ينبغى أن يكون فى موضع الإجلال ، فيحرم الاقتباس فى الأغانى وأمثالها أو فى مجالس اللهو ، ومن فعل ذلك كان مستهزئاً بالقرآن وتلك كبيرة من الكبائر ينبغى منعها .

---

(٢٢) رواه البخارى ومسلم عن أنس ـ رضى الله عنه ـ

(٢٣) من الآية ٢٢٧ سورة الشعراء .

علوم القرآن

يراد بها كلُّ علم يخدم القرآن أو يستند إليه وينتظم ذلك علم التفسير وعلم القراءات والرسم العثمانى ، وأسباب النزول ، وإعجاز القرآن ، والناسخ والمنسوخ ، وإعراب القرآن وغريب القرآن ، وعلوم الدين واللغة ، وغير هذا مما سطره العلماء .

لكن ما يجب العلم به ، هو أن القرآن الكريم كتاب هداية وإعجاز ، فكل علم يتصل بالقرآن من ناحية قرآنيته أو يتصل به من ناحية هدايته أو إعجازه ، فذلك من علوم القرآن وهذا ظاهر فى العلوم الدينية والعربية . أما العلوم الكونية ، وأما المعارف والصنائع وماجد أو يجد فى العالمَ من فنون ومعارف كعلوم الهندسة والفلك وعلم الاقتصاد والاجتماع وعلوم الطبيعة والكيمياء والحيوان والنبات وغيرها ، فكلُّ أولئك - وإن دعا القرآن إلى تعلمها والإجادة فيها لا يجمل أن تُعَدَّ من علوم القرآن ، لأن هناك فرقاً بين علوم اختصها القرآن بالتأصيل أو التفصيل ، وعلوم حث عليها فى عموماته ، فما عرض له القرآن مبيناً أحكامه وضوابطه وكان مرتبطاً بنصوص القرآن فهو من علومه التى تخدم مقاصده .

من علوم القرآن
«الرسم العثماني»

اتفقت كلمة فقهاء المذاهب المشهورة على ضرورة الالتزام فى كتابة المصحف بالرسم العثمانى ، باعتبار ان هذا الرسم . هو ما كتب به القرآن فى حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واقرهم عليه ، ثم جاء أبو بكر فكتب القرآن بهذا الرسم وتبعه عثمان فى كتابة المصاحف بموافقة الصحابة ، ودون نكير من أحد فيكون إجماعاً ، ومن ثم يلزم المصير إلى طباعة المصحف بهذا الرسم لا غير .

ولقد أجاز بعض العلماء كتابة المصحف بالاصطلاحات الإملائية المعاصرة للتعليم ولا بأس من المصير إلى هذا الرأى فى طبع الأجزاء المفرقة من القرآن لتكون فى أيدى الصغار لتعلمهم القرآن ، حتى إذا ما تَمَرَّسُوا على التلاوة والحفظ ، عادوا إلى الرسم العثمانى الذى أجمع المسلمون منذ الخليفة الثالث على استمرار كتابة المصحف به دون سواه .

تفسير القرآن

التفسير هو المعانى الظاهرة من القرآن الكريم التى تكون واضحة الدلالة على المعنى المراد من النص القرآنى .

اما التاويل : فهو المعانى الخفية التى تستنبط من الآيات الكريمة ، والتى تحتاج إلى تامل وتفكر واستنباط والتى تحتمل عدة معان ، فيرجح المفسر منها ما كان دليله اقوى ولا يعتبر هذا الترجيح قطعياً ، بل هو ترجيح للأقوى والأظهر . لأن الله يقول : ﴿ .. وما يعلم تأويله إلا الله ﴾[24] .

وقد دعا القرآن إلى تدبر آياته وفهمها والعمل بها .
يقول الله سبحانه : ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ﴾[25] .
ويقول سبحانه : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾[26] .
ويقول : ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾[27] .

---

(٢٤) من الآية ٧ سورة آل عمران .
(٢٥) الآية ٢٩ سورة ص
(٢٦) الآية ٢٤ سورة محمد
(٢٧) الآيات ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ سورة القمر .

فالمسلمون ، بل والناس جميعاً فى حاجة إلى تدبر القرآن وفهمه وتفسيره وهذا ما حدا بالمسلمين الأولين إلى الإجادة فى هذا والإفادة ، فتركوا عدة تفاسير للقرآن الكريم .

أقسام التفسير

أ ـ التفسير بالرواية ويسمى ايضاً التفسير بالمأثور .

ب ـ التفسير بالدراية ، أو تفسير الراى .

جـ ـ التفسير الإشارى .

أما التفسير بالرواية أو بالمأثور ، فهو تفسير القرآن بالقرآن ، أو بما جاء فى السنة أو كلام الصحابة بياناً للمراد من النص القرآنى ..

وأشهر من اتبع هذه الطريقة : ابن جرير الطبرى ، والسمرقندى وغيرهما . لكنه قد دخل فى هذا النوع من التفسير الكثير من الإسرائيليات والقصص والأخبار التى لم تمحص رواياتها .

هذا : وقد نسبت تفاسير لعدد من الصحابة ومن التابعين فى مختلف الأقطار والأمصار وهذه التفاسير المنقولة عن هؤلاء وأولئك فى حاجة إلى التنقية ، وإن كانت لا تخلو من الروايات الصحيحة الثابتة التى يتعين المصير إليها فى التفسير .

التفسير بالرأى

والمراد به الاجتهاد المستند إلى ما يجب الرجوع إليه من قواعد وأصول ، كأدوات هادية إلى الحق وحسن الفهم للقرآن .

تلك الأصول هى :

أ ـ النقل عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع الابتعاد عن الموضوعات والضعيف من الأخبار .

ب ـ الأخذ بقول الصحابى باعتباره فى حكم المرفوع ، وإن لم يكن مرفوعاً فى واقع الأمر من هذا ما رواه أبو داود والترمذى وغيرهما عن قيس قال :

خطبنا أبو بكر رضى الله عنه فقال : إنكم تقرءون هذه الآية وتتأولونها على غير تأويلها :

﴿ ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾[28] .

وإنى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بقضائه) .

وتأويلات ونُقُولٌ أخرى فى شأن هذه الآية :

---

(٢٨) الآية ١٠٥ سورة المائدة .

هذا . وبعض العلماء خص ذلك بأسباب النزول باعتبارها ليست مجالاً للرأى .

جـ ـ الأخذ بمطلق اللغة ، مع الاحتراز عن صرف الآيات إلى ما لا يدل عليه كلام العرب .

د ـ الأخذ بما يقتضيه الكلام وتدل عليه قواعد الشرع .

ومما يجب ملاحظته ، أنه لا يجوز لمن لم تتوافر لديه قوانين اللغة والشريعة أن يفسر القرآن برأيه . ذلك أن فى القرآن علوماً مختلفة ، منها ما استأثر الله بعلمه ، فليس لأحد البحث فيه ، كمعرفة حقيقة ذاته وصفاته . ومنها ما أطلع الله عليه نبيه واختصه به ، وهذا لا يجوز الكلام فيه إلا للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وقد قيل إن من هذا أوائل السور ، ومنها العلوم التى أمر بإبلاغها للناس وهذا منه ما لا يكون علمه إلا بالنقل عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كالكلام فى الناسخ والمنسوخ والقراءات ، وقصص الأمم السالفة ، وأسباب النزول وأخبار الحشر والنشر والميعاد .

ومنها ما يعرف بالنظر والاستنباط ، وذلك ما يتعلق بآيات الأحكام والمواعظ والأمثال والحكم ونحوها ، لمن توافرت له أهلية الاجتهاد .

ومن هذا ما ينبغى التوقف عن النظر فيه ، وهو المتشابه .

والمفسر يحتاج إلى تحصيل علوم اللغة والنحو والصرف

وعلوم البلاغة وعلم أصول الفقه وعلم التوحيد ، ومعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ .

والأحاديث المبينة للمجمل والمبهم ، ثم موهبة الفهم . وهى منحة من الله سبحانه وصدق الله : ﴿ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ﴾[٢٩] .

تلك العلوم مطلوبة لتحقيق أقصى قدر من مراتب علم التفسير .

أما المعانى العامة الظاهرة ففهمها يشترك فيه كل الناس .

هذا وقد منع بعض العلماء تفسير القرآن بالراى خشية القول على الله بغير علم .

وهذا غير صحيح ، لأن القرآن دعا إلى تدبير آياته وفهمها واستنباط الأحكام منها .

وما دام المسلم مؤهلا لتحصيل تلك العلوم ، عارفا بسنة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم .

وأقوال السلف الصالح ، ثقة ، لا يقول على الله بغير علم ، كان له التفسير . هذا وأكثر كتب التفسير المتداولة ، هى من باب التفسير بالرأى والاجتهاد بضوابطه .

---

(٢٩) من الآية ١٤٦ سورة الاعراف .

التفسير الإشارى

وهو الذى يهدف إلى تأويل القرآن على خلاف ظاهره ، لإشارات خفية تظهر لبعض أولى العلم ، أو يقول بها بعض الصوفية وغيرهم من الفرق التى ظهرت فى سالف عصور المسلمين .

ولا شك أن على الناس جميعا أن يحذروا هذا النوع من التفاسير الإشارية الملتوية لأنها خارجة عن حدود الضبط والعلم ، وكثيرا ما يلتبس فيها الحق بالباطل والخيال بالحقيقة ..

وعلينا جميعا أن نلتزم الكتاب والسنة مستهدين بأقوال السلف الصالح وأن نعرض عمن يقولون فى كتاب الله بغير علم ، يخفون فى أنفسهم مالا يبدون من كيد للإسلام والمسلمين ، فينفثون سمومهم ، محرفين الكلم عن مواضعه بإشارات وادعاءات لاسند لها إلا أفهامهم .

ولقد ظهر فى عصرنا هذا أولئك الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا باسم العلم تارة وباسم الدين أخرى ، غير ملتزمين بقواعد علمية ولا بنصوص مأثورة ، يطعنون فى كل شىء ويلمزون المؤمنين ، والله من ورائهم محيط .

نسأله العصمة فى الدين والعون على المارقين ..

ومن هنا كان على المسلمين أن يتحروا من أمرهم رشدا ، فلا يأخذوا علوم الدين وأحكام الشرع إلا من مصادرها ومن المتخصصين فى دراستها ، الأمناء على حملها فما كل قائل

خطيب ، وما كل ناظم شاعر ، وليتق الله أولئك الذين يفجرون الخلافات التى عفى عليها الزمن وتجاوزتها الأمة الإسلامية وليتق الله أولئك الذين عادوا إلى التشكيك فى المصادر الإسلامية الصحيحة عملا بمبدأ « خالف تعرف » ، إذ هل يقبل فى عصر الفضاء أن نشك فى الإسراء والمعراج ؟ إن هذا غير مقبول وربما كان فى عصر الرسالة وبمنطق وسائل الانتقال ـ الإبل ـ فى ذلك الوقت ، يستبعد المجادل أن يقطع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تلك المسافات الطوال بين مكة والقدس ، ثم عروجا إلى السموات ويعود فى نفس الليلة .

الا ، فليكف أولئك الذين يروجون الشكوك ، ويفتنون الناس عن دينهم . فإن الكلمة فى الدين أمانة ، إن الإسراء ثابت فى القرآن ..

﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا ﴾ .(٣٠)

نصيحة أوجهها إلى الأمة الإسلامية فى كل مكان على أرض الله ، أن نحذر الفرقة والاختلاف ، فقد يئس الأعداء من المواجهة ، فلجأوا إلى غزو المسلمين من داخلهم ، فبثوا خلافات واحيوا مواتا من الأفكار التى طواها الزمن فى بطون الكتب ، إنهم يفجرون خلافات حول السنة الشريفة وكتبها ويذيعون تفسيرات خاطئة على السنة أناس قد يكون لهم فى المجتمع مكان دون أن يكون لهم فى علوم الإسلام مكانة .

ونصيحة أوجهها لوسائل الإعلام : أن من مهامها

---

(٣٠) من الآية ١ سورة الإسراء ..

الرئيسية نشر الثقافة الصحيحة يقرؤها الجميع فى الصحف ، أو يسمعونها فى الإذاعة المسموعة والمرئية ، ومن واجبها أن تقدم للناس المعلومات الصحيحة الموثوق بها وأن تقف بشجاعة ضد أولئك الذين يحملون معاول الهدم والفرقة أولئك الذين يقولون فى الإسلام بغير علم ، فهم خطر على مجتمعنا وعلى عقيدة أولادنا ، إن الكلمة أمانة ، ونقلها إلى الناس أمانة ، وأن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ..

إن حرية الكلمة لا تعنى هدم القيم الإسلامية أو التشكيك فى أصولها أو تفسيرها على وجه يلتبس فيه الحق بالباطل ..

فالحرية بوجه عام مصونة مالم تضر بالغير ، وإلا صارت عدوانا يجب رده .

ذلك قول الله سبحانه : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء . تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ﴾[٣١] .

نسأل الله سبحانه أن يوفق القائمين على أمور وسائل الإعلام إلى أن يجتنثوا الكلمة الخبيثة من صحائفهم وقنواتهم حتى يقدموا لنا صحيح الفهم وصادق القول وقدوة العمل وأن يجعلنا جميعا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، فنقدم للناس رشدا وقولا حسنا ينفعهم فى معاشهم ، وترتقى عليه أخلاقهم ، وينضبط به سلوكهم .

---

(٣١) الآيات ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ سورة ابراهيم .

من علوم القرآن :
أسباب النزول

سبب النزول : هو مانزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه . والمعنى أنه حادثة وقعت فى زمن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ، أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب السؤال كحادثة الخلاف الذى نشب بين الأوس والخزرج بدسيسة من اليهود حتى تنادوا بالسلاح فنزل قول الله :

﴿ ياأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ﴾[٣٢] .

وآيات أخرى بعدها فى سورة آل عمران تنفر من الشقاق والانقسام وترغب فى الوحدة والوفاق والمحبة ، أو كذلك الذى أمَّ الناس فى الصلاة وهو سكران ، فقرأ بعد الفاتحة سورة : (**قل ياايها الكافرون أعبد ماتعبدون**) وحذف أداة النفى من قوله (لا أعبد) .

فنزلت الآية ﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾[٣٣] .. أو كان سبب النزول أمنيات بدرت من بعض الصحابة ، كتلك التى أطلقوا عليها موافقات عمر رضى الله عنه .

---

(٣٢) الآية ١٠٠ سورة آل عمران .

(٣٣) من الآية ٤٣ سورة النساء .

ومن أمثلتها ما أخرجه البخارى وغيره عن أنس رضى الله عنه قال : قال عمر : (وافقت ربى فى ثلاث) . قلت يارسول الله .

لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ .[٣٤] .

وقلت يارسول الله : إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر ، فلو أمرتهن أن يحتجبن ، فنزلت آية الحجاب:

﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم والله لا يستحى من الحق وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما ﴾[٣٥] .

واجتمع على رسول الله نساؤه فى الغيرة ، فقلت لهن :

﴿ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن . . ﴾ فنزلت الآية[٣٦] .

---

(٣٤) من الآية ١٢٥ سورة البقرة .
(٣٥)الآية ٥٣ سورة الاحزاب .
(٣٦) من الآية ٥ سورة التحريم .

وقد كان السؤال يوجه إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أمر ماض ، فيأتى القرآن بالجواب عنه .

كقول الله سبحانه : ﴿ ويسألونك عن ذى القرنين . ﴾[٣٧] .

أو يتصل بأمر حاضر ، كقول الله تعالى ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾[٣٨] .

أو يتصل بأمر مستقبل نحو قول الله تعالى : ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ﴾[٣٩] .

هذا : وهناك آية أو آيات نزلت ابتداء دون تقدم سبب ظاهر تتحدث عن بعض الوقائع والأحوال الماضية أو المستقبلة .

كبعض قصص الأنبياء السابقين وأممهم ، وكالحديث عن الساعة وما يتصل بها .

---

(٣٧) من الآية ٨٣ سورة الكهف .

(٣٨) الآية ٨٥ من سورة الإسراء .

(٣٩) الآية ٤٢ سورة النازعات .

فوائد معرفة سبب النزول

لعل بعض الناس تغيب عنهم فوائد معرفة أسباب نزول الآية أو الآيات من القرآن ، أو يتغافلون عن تلك الأسباب عند النظر فى التفسير باعتبار انها لا تعدو أن تكون تاريخا للنزول أو جارية مجرى التاريخ .

لكن تلك الأسباب ليست مجرد تاريخ وإنما لها فوائد عديدة هامة : -

أ - معرفة حكم الله تعالى على التحديد فيما شرعه بالتنزيل ، يزداد بها المؤمن إيمانا أما غير المسلم فقد تسوقه تلك الحكم الباهرة إلى الإيمان بالإسلام حينما يقف على أن التشريع الإسلامى قام على رعاية مصالح الناس ، لا على الاستبداد ، لاسيما فى تلك الأحكام التى تدرج فيها التشريع الإسلامى كمسألة تحريم الخمر التى مرت بأربع مراحل فى القرآن .

ب - الاستعانة بسبب النزول على فهم الآية ، فإن العلم بالسبب يؤدى إلى العلم بالمسبب . فمثلا : قول الله سبحانه[40] ﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم ﴾ .

---

(٤٠) الآية ١١٥ سورة البقرة .

تدل هذه الآية بظاهرها على أن للمسلم أن يصلى إلى أى جهة شاء ، ولا يتعين عليه أن يتوجه فى الصلاة إلى البيت الحرام ، لا فى سفر ولا فى حضر ، لكن إذا علم أن هذه الآية نزلت فى نافلة السفر خاصة ، أو فيمن صلى باجتهاده ثم بان له خطؤه تبين أن ظاهرها غير مراد ، إنما المراد التخفيف على المسافر فى خصوص صلاة النافلة .

أو على المجتهد فى القبلة إذا صلى وبان خطؤه .

جـ ـ دفع توهم الحصر نحو قوله سبحانه :[٤١] ﴿ قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أُهِلَّ لغير الله به . . ﴾ .

فقد قال الإمام الشافعى إن هذا الحصر غير مقصود ، لأن الآية نزلت بسبب أن أولئك الكفار الذين أبوا إلا أن يحرموا ما أحل الله ويحلوا ما حرم الله عنادا منهم .

فنزلت هذه الآية بهذا الحصر محادة لهم من الله ورسوله ، لا قصدا إلى حقيقة حصر المحرمات فيما ورد فى هذه الآية .

هذا ، وقد قال الإمام مالك بحصر المحرمات فيما ورد فيها متجاوزا هذا السبب .

د ـ تخصيص الحكم بالسبب عند من يرى من الأئمة أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ ، وهم قلة .

---

(٤١) من الآية ١٤٥ سورة الأنعام .

لكن ما يراه أكثر العلماء من أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب هو الصحيح .

هـ ـ تيسير الحفظ وتسهيل الفهم وتثبيت الوحى فى ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها ، لأن ربط الأسباب بالمسببات والأحكام بالحوادث ، والحوادث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة ، كل هذا من دواعى ثبوتها فى الذهن وسهولة استذكارها ، وذلك ماسماه علماء النفس الآن بقانون تداعى المعانى وتتابعها .

من أين نقف على سبب النزول :ـ

لا يحل القول فى أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن حضروا تنزيل القرآن وعلموا الأسباب ، أو بحثوا عن علمها ، وقد روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال :ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤٢] .

(من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)

وعلى ذلك :

فإن روى سبب النزول عن صحابى فهو مقبول ، وإن لم يتأكد برواية أخرى . ذلك ، لأن قول الصحابى فيما لا مجال للاجتهاد فيه ، حكمه حكم المرفوع إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنه يستبعد جدا أن يكون الصحابى قد قال ذلك

---

(٤٢) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة .

السبب من تلقاء نفسه ، على حين انه خبر لا بد له من السماع والنقل او الرؤية والمشاهدة .

أما إذا نقل سبب النزول بحديث مرسل اى سقط من سنده الصحابى وانتهى إلى أحد التابعين ، فحكمه انه لا يقبل إلا إذا صح وسانده خبر مرسل آخر وكان راويه من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة كمجاهد وسعيد بن جبير .

نزول القرآن على سبعة أحرف

وهذا علم آخر من علوم القرآن ـ القراءات .

ذلك العلم الذى جاء فى شأن الحديث الشريف الصحيح[٤٣] (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه) .

وقد روى هذا الحديث بروايات مختلفة حتى قال بعض الأئمة إنه بلغ حد التواتر .

---

(٤٣) رواه البخارى .

معنى نزول القرآن
على سبعة أحرف

قال علماء اللغة : إن الحرف من كل شيء طرفه وحده ، وواحد حروف الهجاء بمعنى وجه .

ومن هذا القبيل قول الله سبحانه :[٤٤] ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف ﴾.

أى على وجه واحد ، وهو أن يعبده على السراء ، لا على الضراء ، أو على شك أو غير مطمئن فى الدين ومتمكن منه .

ولفظ حرف عند النحاة ماجاء لمعنى ليس باسم ولا فعل .

أو أن سبعة أحرف : سبع لغات من لغات العرب .

وهذا يدل على أن لفظ الحرف من قبيل المشترك اللفظى ، والمشترك اللفظى يراد به أحد معانيه التى تعينها القرائن وتناسب المقام .

وقد اختار بعض العلماء ان أنسب المعانى لتفسير هذا الحديث الشريف من إطلاق لفظ الحرف أنه الوجه . وهذا يشير إلى أن المقصود التوسعة والتيسير . أى أنزل القران موسعا فيه على القارىء أن يقرأه على سبعة أوجه .

---

(٤٤) من الآية ١١ سورة الحج .

وهذه الأوجه هى :

١ ـ اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث .

٢ ـ اختلاف فى تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر .

٣ ـ اختلاف وجوه الإعراب .

٤ ـ الاختلاف بالنقص والزيادة .

٥ ـ الاختلاف بالتقديم والتأخير .

٦ ـ الاختلاف بالإبدال .

٧ ـ اختلاف اللهجات كالفتح ، والإمالة ، والترقيق ، والتفخيم والإظهار والإدغام ونحو ذلك .

وهناك اقوال أخرى فى تفسير هذا الحديث الشريف لا يتسع المقام لاستعراضها .

معنى القراءات

القراءات : جمع قراءة ، ومعناها اصطلاحا ما ذهب إليه إمام من أئمة القراءات مخالفا به غيره فى النطق بالقرآن الكريم ، مع اتفاق الروايات والطرق عنه .

وقد اشتهر القول بالقراءات السبع ، وبالعشر وبالأربع عشرة ، أي أنها قراءات منقولة عن أئمة القراءات .

ذلك ؛ لأن الاعتماد فى نقل القرآن على الحفاظ ، ولهذا أرسل عثمان ـ رضى الله عنه ـ مع كل مصحف من يوافق قراءته ، وقرأ كل أهل جهة بما فى مصحفهم . وتلقوا ما فيه من الصحابة الذين تلقوه عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم .

فوائد اختلاف القراءات

١ ـ التيسير على الأمة الإسلامية كلها ، خاصة الأمة العربية التى كانت وقت نزول القرآن قبائل كثيرة ، وكان بينها اختلاف فى اللهجات وطريقة الأداء ، كما هو مشاهد فى كل قطر عربى ، حيث تختلف اللهجة من منطقة إلى أخرى ، وكما هو ملموس فى اختلاف اللهجة من محافظة إلى محافظة ، بل ربما فى المحافظة الواحدة .

٢ ـ جمع الأمة الإسلامية الجديدة على لسان واحد ، هو لسان قريش الذى نزل به القرآن الكريم .

٣ ـ بعض القراءات بزيادة بعض الألفاظ لتفيد حكما من الأحكام .

فقد قرأ سعد بن أبى وقاص آية الكلالة وفيها (وله أخ أو أخت من أم) .

بزيادة (لفظ من أم) ، فخرج به الإخوة الأشقاء ، ومن الأب . وأجمع المسلمون على ذلك . وهناك أمثلة أخرى سواء بزيادة لفظ ، أو بالقراءة بالتخفيف أو بالتشديد .

فتنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات ، وذلك ضرب من ضروب البلاغة . ومن هذا نعرف أن معنى الحروف السبعة التى نزل بها القرآن ليس مقصورا على تلك القراءات السبع المشهورة على ألسنة القراء فقط .

المكى والمدنى من القرآن

من علوم القرآن

للعلماء ثلاثة اصطلاحات فى التمييز بين المكى والمدنى من القرآن .

١ ـ أن المكى ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة ، والمدنى ما نزل بالمدينة .

ويدخل فى مكة ضواحيها كالمنزل بمنى وعرفات والحديبية . ويدخل فى المدينة ضواحيها كالمنزل فى بدر وأُحُد . وهذا الاصطلاح لوحظ فيه مكان النزول .

٢ ـ أن المكى ما وقع خطابا لأهل مكة ، والمدنى ما وقع خطابا لأهل المدينة ومثله قول من قال : ـ إن المكى ما بداه القرآن بلفظ « ياأيها الناس » ، والمدنى ما بدىء بلفظ : « ياأيها الذين آمنوا » .

٣ ـ أن المكى ما نزل قبل الهجرة إلى المدينة ، وإن كان نزوله بغير مكة ، وأن المدنى ما نزل بعد الهجرة وإن كان نزوله بمكة .

وهذا الاصطلاح لوحظ فيه زمن النزول ، وقد اعتمد جمهور العلماء هذا الاصطلاح الأخير واشتهر بينهم .

فائدة العلم بالمكى والمدنى

١ ـ معرفة الناسخ من المنسوخ ، فإذا وردت آيتان أو آيات فى موضوع واحد ، وكان الحكم مخالفا فى إحداها للأخرى أو الأخريات ، ثم عرف المكى والمدنى منها ، كان المدنى منها ناسخا للمكى ، نظرا لتأخر المدنى فى النزول عن المكى .

٢ ـ معرفة تاريخ التشريع وتدرجه .

٣ ـ الثقة التامة بوصول القرآن على هذا الوجه سالما من التحريف والتغيير . هذا : ولا يعرف المكى ولا المدنى إلا بما ورد عن الصحابة والتابعين ..

ترجمة القرآن

هذا اللفظ ـ ترجمة القرآن ـ مشترك لفظى بين معان اربعة .

منها : ما اتفقوا على جوازه ، وهو ترجمته بمعنى تبليغ الفاظه ، بتلاوتها بنصها وترجمته بمعنى تفسيره بلغة عربية .

ومنها : ما تقضى أقوال الفقهاء بمنعه ، وهو ترجمته بمعنى نقله إلى لغة غير العربية أى الترجمة الحرفية ، حيث لا تفى بجميع معانيه ومقاصده .

ومنها : ما اختلف العلماء فيه ، ولكن الأدلة على جوازه متضافرة ، وهو ترجمته بمعنى تفسيره بلغة غير العربية ، مع استيفاء شروط التفسير والترجمة فيه .

ولعل أمثل الطرق للترجمة أن يوضع تفسير للقرآن الكريم يراعى فيه : ـ

١ ـ خلوه ما أمكن من المصطلحات والمباحث العلمية إلا ما استدعاه فهم الآية .

٢ ـ ألا يتعرض فيه للنظريات العلمية فلا يذكر على وجه قاطع ـ التفسير العلمى للظواهر الجوية ولا نظريات علم الفلك والهيئة ولا غير هذا من نظريات علمية . وإنما تفسر الآيات التى أشارت إلى مثل هذه الأمور بما يفيده اللفظ العربى للقرآن مأخوذا منه دلالات الهداية والاعتبار بقدرة الله خالق السموات والأرض .

فاذا دعت الحاجة إلى التوسع فى ذكر بعض المسائل العلمية التى استقرت كحقائق علمية فلتذكر فى هامش أو حاشية ، لا فى صلب التفسير .

٣ ـ مراعاة ماتدل عليه الفاظ الآية من معنى أو حكم تشريعى دون الارتباط برأى مذهب معين من المذاهب الفقهية ، ولا مذهب معين كذلك من مذاهب علماء الكلام وغيرها ، كما لا يتعسف فى تأويل آيات المعجزات وأمور الآخرة ونحو ذلك .

٤ ـ أن يفسر القرآن بقراءة حفص باعتبارها القراءة التى اشتهرت ، ولا يتعرض لتفسير قراءات أخرى إلا عند الحاجة إليها .

٥ ـ لا محل للتكليف فى ربط الآيات والسور بعضها ببعض ، وفى بيان وجه المناسبة على مايبدو فى بعض التفاسير .

هذه بعض الشروط التى يجب مراعاتها لوضع تفسير سهل المأخذ والمقصد ، يمكن ترجمته إلى أية لغة أخرى .

ولقد تجاوزنا ما أثير فى مصر منذ سنوات حول جواز ترجمة القرآن إلى لغات غير العربية أو عدم جواز ذلك ، وما كان من سجال بين العلماء فى العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين ، إذ على المسلمين أن يواجهوا التراجم الكثيرة للقرآن بكافة اللغات تصحيحا لما جاء فيها من تحريف للكلم عن مواضعه بسوء قصد أو بغير فهم .

ويجب أن تتضافر الجهود على ذلك فنيا وعلميا وماليا حتى يكون هناك تفسير عربى خال من الشوائب العلمية والفنية التى اندست فى أكثر التفاسير المتداولة . بحيث لا تخلو من إفراط او تفريط ، ثم يترجم هذا التفسير إلى لغة أو لغات غير

العربية ، وذلك أمر يقتضى للقيام به جمعا من العلماء المتخصصين المتفرغين ، وتمويلا يتساند فيه كل من افاء الله بنعمه عليه ..

ويجب أن يعلم الناس جميعا أن الترجمة لتفسير القرآن لبست قرآنا ، وليس لها خصائص القرآن ، وأنها لا تحمل الإعجاز الموجود فى لفظه العربى المنزل به ، وإنما تحمل المعانى التى فهمها المفسر ، فليست التراجم هى القرآن ، كما أن التفسير باللغة العربية ليس هو القرآن ، ولا يسمى قرآنا ..

ما حكم قراءة القرآن بغير اللغة العربية

لا تجوز قراءة القرآن بغير ألفاظ العربية التى نزل بها ، سواء لمن يعرف اللغة العربية ولمن لا يعرفها فى الصلاة ولا فى غيرها لقوله تعالى[٤٥] .

﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربيا ﴾ وقوله سبحانه[٤٦] **﴿ ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾** .

ومن ثم أجمع العلماء على تحريم قراءة القرآن بغير اللغة العربية فى الصلاة .. لكن لو فرض وقرأ المسلم فى الصلاة بغير اللغة العربية لم تصح الصلاة .

أما العاجز عن تلاوة القرآن باللغة العربية وبنصه المنزل به فهو كالأمى لاقراءة عليه لكن إذا خالف وأدى فى الصلاة ترجمة لتفسير آية من الآيات ، فإن كان ما أداه تفسيرا لقصة من القصص أو أمرا أو نهيا فسدت صلاته ، لأنه متكلم بكلام ، ليس قرآنا وليس ذكرا .

---

(٤٥) من الآية ٢ سورة يوسف .

(٤٦) الآية ٤٤ سورة فصلت .

وإن كان مايؤديه ذِكرا أو تنزيها لا تفسد صلاته . لأن الذكر بأى لغة فى الصلاة لا يفسدها ..

ومعنى هذا أن غير العرب من المسلمين لهم ـ إلى أن يتعلموا اللغة العربية ويحفظوا من القرآن ما تصح به الصلاة ـ أن يذكروا الله بلغتهم ، لبعض آيات القرآن الكريم التى وردت فى ذكر الله أو تنزيهه ولا يعد تاليا لقرآن ، وإنما ذاكرا لله بلغته كالأمى الذى عجز عن حفظ شىء من القرآن عليه ذكر الله فى الصلاة بدلا من تلاوة الفاتحة ..

من علوم القرآن
النسخ

ومعناه فى اللغة : إزالة الشىء . مثل قولهم : نسخت الشمس الظل ..

أو نقل الشىء وتحويله مع بقاء ذاته . ولفظ النسخ بهذا من قبيل المشترك الذى وضع لأكثر من معنى لغة ..

والنسخ فى الاصطلاح له تعاريف كثيرة مختلفة ، أقربها وانسبها هو : (رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى) ..

وبهذا يكون النسخ واردا فيما نسخ ـ على الحكم فقط ، وبهذا المعنى أيضا يكون شاملا للنسخ فى القرآن وفى السنة أيضا .

مثال نسخ القرآن بالقرآن قول الله سبحانه(٤٧) ﴿ لايحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ﴾ .

فإنها نسخت بقوله تعالى(٤٨) : ﴿ يأيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين . . ﴾ وهذه وإن كانت متقدمة فى التلاوة فهى متأخرة

---

(٤٧) من الآية ٥٢ من سورة الأحزاب .

(٤٨) من الآية ٥٠ من السورة السابقة .

فى النزول على الآية المنسوخة بها ـ كآيتى عدة الوفاة رقم ٢٣٤ ، ٢٤٠ من سورة البقرة .

ومثال نسخ السنة بالسنة ، نسخ الوضوء مما مست النار ، بأكله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من شاة مستها النار ولم يتوضأ .

ولا بد فى تحقق النسخ من أمور أربعة :

١ ـ أن يكون المنسوخ حكما شرعيا .

٢ ـ أن يكون دليل النسخ دليلا شرعيا .

٣ ـ أن يكون الدليل الناسخ متأخرا عن دليل الحكم المنسوخ غير متصل به اتصال القيد بالمقيد .

٤ ـ أن يقع تعارض حقيقى بين هذين الدليلين .

وهناك شروط أخرى للنسخ اختلف فيها العلماء ، وتعرف من مواضعها فى علم أصول الفقه ولا يشتبه النسخ بالتخصيص ، لأن هذا الأخير قصر للعام على بعض أفراده ، بعكس النسخ الذى هو : (إزالة الحكم الشرعى بحكم شرعى .) .

حكمة وقوع النسخ

إن الله نسخ بالإسلام كل دين سبقه .

ذلك أنه جاء بعد أن بلغت الإنسانية شأوا بعيدا فى حياتها وتمرست بما سبق من أديان أنزلها الله مناسبة للأحوال التى مرت بها الإنسانية .

ذلك لأن النوع الإنسانى قد تقلب كما يتقلب الطفل فى أدوار مختلفة ولكل دور من هذه الأدوار ما يناسبه من معارف وتشريع وأسلوب خطاب وعبادات .

ذلك نسخ الأديان السابقة بالإسلام .

أما الحكمة فى نسخ بعض أحكام الإسلام ببعض ، فتكمن فى مراعاة نشأة الأمة الإسلامية وانتقالها من حال البداوة إلى التنظيم والتهذيب ، لأن الطفرة من نوع المستحيل الذى يرغب عنه الإنسان ولا يطيقه ، كتدرج القرآن فى تحريم الخمر باعتبارها كانت سلوكا وعادة غالبة مستحكمة فى نفوس العرب وأهوائهم يستدلون بها على القوة والفتوة والشهامة والكرم ، فكان لابد لاقتلاعها من نفوسهم من التدرج فى التحريم حتى يقلعوا عنها بعد أن يقتنعوا بآثامها ومضارها .

وقد اختلف فى وقوع النسخ وثارت أقوال كثيرة فى شأنه بين مانع ومجيز مطلقا أو بقيود ولكن الصحيح أن الإسلام نسخ كل الأديان السابقة بعموم رسالته .

والصحيح كذلك أن فى الأحكام التشريعية فى الإسلام

نسخا لحكمة تشريعية كالآيات التى توالى نزولها فى حكم شرب الخمر حتى انتهت بالتحريم البات .

ولا يجوز القول بالنسخ لمجرد دفع شبهة تعارض دليلين ، بل لا بد من دليل شرعى صحيح يدل على النسخ .

ويعرف النسخ بواحد من طرق ثلاثة :

١ ـ أن يكون فى أحد النصين ما يدل على تعيين المتأخر منهما نحو قوله تعالى(٤٩) :

﴿ يأأيها النبى حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون.الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين ﴾ .

فالآية الأخيرة جاءت بالتخفيف مما حوته الآية السابقة عليها وصريحة فى نسخ حكمها . ونحو قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم(٥٠) : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فإنها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة) .

٢ ـ أن ينعقد إجماع من الأمة فى أى عصر من عصورها على تعيين المتقدم نزولا من النصين والمتأخر منهما .

---

(٤٩) الآيتان ٦٥ ، ٦٦ سورة الأنفال .

(٥٠) رواه ابن ماجه عن ابن مسعود .

٣ ـ أن يثبت من طريق صحيحة عن أحد أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم ـ ما يفيد تعيين أحد النصين المتعارضين للسبق على الآخر أو التأخير عنه فى النزول كأن يقول الصحابى : نزلت هذه الآية بعد تلك الآية ، أو نزلت هذه قبل تلك ، أونزلت عام كذا بينما الآية المعارضة معروف تأخر تاريخ نزولها ، أو محدد بما يفيد التأخر عن المعارضة لها .

الآيات التى ورد عليها النسخ

أكثر بعض الناس من الحديث على النسخ ، وما دخل عليه النسخ فى القرآن وقد تعرض بعض العلماء لحصر المنسوخ من آيات القرآن وحصرها فى اثنتين وعشرين آية .

المحكم والمتشابه في القرآن

من معانى المحكم فى القرآن أنه مالا تتوقف معرفته على بيان .

ومن معانى المتشابه أنه ما لايرجى بيانه .
وقد نقلت ثلاثة أقوال فى المحكم والمتشابه فى القرآن .

١ ـ أحدها أن القرآن كله محكم لقوله تعالى: ﴿ . . أحكمت آياته . . ﴾[٥١] .

٢ ـ إن القران كله متشابه لقوله تعالى : ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها ﴾[٥٢] .

٣ ـ إن من القرآن محكما وإن منه متشابها ، وهذا هو الصحيح لقوله تعالى : ﴿ منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايذكر إلا أولو الألباب ﴾[٥٣] .

---

(٥١) من الآية ١ سورة هود
(٥٢) من الآية ٢٣ سورة الزمر
(٥٣) من الآية ٧ سورة آل عمران

ولقد تحدث العلماء فى المحكم والمتشابه فى القرآن ، واختلفوا فى مدلول كل منهما،وأولاها بالقبول أن المحكم من القرآن ماكانت دلالته راجحة وهو النص والظاهر .

اما المتشابه فما كانت دلالته غير راجحة وهو المجمل والمؤول والمشترك على ماقرره علماء أصول الفقه فى موضعه من بحوثهم .

أنواع المتشابه

١ ـ مالا يستطيع الناس جميعا أن يصلوا إلى معناه ، كالعلم بذات الله وحقائق صفاته ، وكالعلم بالغيبيات التى استأثر الله بعلمها : ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الأرحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾(٥٤) .

٢ ـ أن المتشابه مايستطيع كل إنسان أن يعرفه عن طريق البحث والدرس كالمتشابهات التى نشأت من الإجمال والمشترك .

٣ ـ هو مايعلمه خواص العلماء دون عامتهم كتلك المعانى السامية التى يصل إليها أهل الاجتهاد من خاصة العلماء . مثل استدلال الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ بقوله تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى وَنُصْلِهِ جهنم وساءت مصيرا ﴾(٥٥) .

استدلاله بهذه الآية على حجية الإجماع .

ولاشك إن هذه الآية وإن كانت ظاهرة المعنى للقارىء العادى ، لكنها بالنسبة لإمام مجتهد كالشافعى ، لها دلالات أخرى . منها أن إجماع الأمة حجة ودليل شرعى .

---

(٥٤) الآية ٣٤ سورة لقمان

(٥٥) الآية ١١٥ سورة النساء

والخلاصة

أن المتشابه فى القرآن - والله أعلم - ثلاثة أنواع :

١ - نوع لاسبيل إلى الوقوف على المراد منه ، كوقت القيامة وانتهاء الأجل ونحوهما .

٢- ونوع للإنسان سبيل إلى معرفته ، كالألفاظ الغريبة والأحكام التى تحتاج إلى إعمال الفكر والروية .

٣ - ونوع متردد بين الأمرين يختص به بعض الراسخين فى العلم ، ويخفى على من دونهم ولعله المشار إليه فى دعاء النبى ﷺ لابن عباس رضى الله عنهما : (اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل)[٥٦] . [مسند احمد ١ / ٣١٤ - ط الميمنية] .

إن علم المحكم والمتشابه فى القرآن علم حافل يحتاج إلى الراسخين فى العلم .

ومن هنا كان على هؤلاء الذين يتصدون لتفسير القرآن أن يحذروا القول فيه بغير علم وبدون بصيرة ، بل لابد من التبصر والتدبر والتريث ، حذرا من الخطأ فى التفسير أو التأويل ، وليس ذلك إبعادا عن تفهم القرآن ، وإنما هو تحريض على الأخذ بأسباب فهمه . بتحصيل العلوم الأساسية المؤهلة لذلك ومن أهمها علوم البلاغة وأصول الفقه وعلوم الحديث وغيرها مما يدخل فى علوم القرآن .

---

(٥٦) الحديث فى تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ١ آل عمران ص ٥٤٤ فى تفسير قوله تعالى « ومايعلم تأويله إلا الله »

المبهمات :

المراد بالمبهم فى القرآن ماأشير إليه فى آية من الآيات أو فى قصة من القصص دون تحديد .

وقد كان فى السلف من التابعين والعلماء الصالحين من يعنى به .

روى عن عكرمة قال : طلبت الذى خرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم أدركه الموت أربع عشرة سنة ، وهو بهذا يشير إلى قوله تعالى فى سورة النساء : ﴿ ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما ﴾(٥٧) .

ومع هذا فقد توقف الكثيرون من العلماء عن البحث فيما أخبر الله باستئثاره بعلمه كقوله تعالى : ﴿ وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم ﴾(٥٨).

---

(٥٧) الآية رقم ١٠٠

(٥٨) الآية ٦٠ سورة الأنفال

وللإبهام في القرآن أسباب

الأول : الإبهام فى موضع ، استغناء ببيانه فى موضع آخر ، فى سياق الآية كقوله تعالى فى سورة الفاتحة : ﴿ مالك يوم الدين ﴾(٥٩) .

حيث بينه بقوله فى سورة الانفطار : ﴿ وماأدراك مايوم الدين.ثم ماأدراك مايوم الدين.يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله ﴾(٦٠) .

وكقوله : ﴿ الذين أنعمت عليهم ﴾(٦١) .

حيث بينه بقوله فى سورة النساء : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ .(٦٢) .

وكقوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾(٦٣) . إذ المراد آدم فقد بينه السياق حيث جاء بعدها قول الله: ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها . . ﴾(٦٤) . وكقوله تعالى فى سورة التوبة :

---

(٥٩) الآية ٤

(٦٠) الآيات ١٧ ـ ١٩

(٦١) من الآية ٧ ـ الفاتحة

(٦٢) الآية ٦٩ سورة النساء

(٦٣) من الآية ٣٠

(٦٤) الآية ٣١

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾[٦٥] . والمراد بهم ـ والله أعلم ـ المهاجرون لقوله تعالى فى سورة الحشر : ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ﴾[٦٦] .

وقد كانت هذه الآية مما احتج به أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ على الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة حيث كان الحوار بين الصحابة فى اختيار الخليفة .

قال أبو بكر : نحن الصادقون وقد أمركم الله أن تكونوا معنا أى تبعا لنا ..

وقوله تعالى فى سورة المؤمنون : ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آية ﴾[٦٧] . يعنى مريم وعيسى وقال : آية ، ولم يقل آيتين ، مع أنهما آيتان فى واقع الأمر.ذلك لأنها قضية واحدة ، هى : ولادة مريم ابنها عيسى من غير أن يمسها بشر .

---

(٦٥) الآية ١١٩

(٦٦) من الآية ٨

(٦٧) من الآية ٥٠

والسبب الثانى للإبهام

أن يكون المبهم معينا بالشهرة كما جاء فى قوله تعالى فى سورة البقرة فى شأن آدم وزوجه : ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾[٦٨] . ولم يقل حواء لأنه ليس غيرها ..

وكقوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه .. ﴾[٦٩] حيث إن المرسل إليه هو النمرود معروف بالاشتهار .

وكقوله تعالى فى سورة يوسف : ﴿ وقال الذى اشتراه من مصر ﴾[٧٠] والمراد به العزيز .

وكقوله فى سورة المائدة : ﴿ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق ﴾[٧١] . والمراد قابيل وهابيل .

وكقوله تعالى فى سورة الأنعام : ﴿ يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾[٧٢] . إذ أن قائل هذه العبارة النضر بن الحارث ، وإنما كان يقولها لأنه دخل بلاد فارس وتعلم التواريخ والأخبار ، ثم عاد إلى قومه يقول لهم :ـ أنا أحدثكم أحسن مما يحدثكم به محمد ، وإنما يحدثكم

---

(٦٨) من الآية ٣٥

(٦٩) من الآية ٢٥٨

(٧٠) من الآية ٢١

(٧١) من الآية ٢٧

(٧٢) من الآية ٢٥

أساطير الأولين فحيثما جاءت هذه الجملة فى القرآن كان النضر بن الحارث هو المعنى بها ، وقد نزل فيه قول الله سبحانه فى سورة الأنعام : ﴿ ومن قال سأنزل مثل ماأنزل الله ﴾[(٧٣)] .

وقد قتله رسول الله ﷺ يوم بدر .

وكقوله تعالى فى سورة التوبة : ﴿ لمسجد أسس على التقوى . . ﴾[(٧٤)] . فإنه ترجح أنه مسجد قباء بقوله فى ذات الآية : ﴿ من أول يوم ﴾ .

لأنه أسس قبل المسجد النبوى بالمدينة ، ومع هذا فقد ذهب بعض العلماء إلى أن المراد بهذه الآية مسجد المدينة وجمع بين القولين بأن كليهما مراد بهذه الآية .

---

(٧٣) من الآية ٩٣

(٧٤) من الآية ١٠٨

السبب الثالث للإبهام في القرآن

قصد الستر على مرتكب الخطأ ليكون أبلغ وأعم وأدعى للقبول .. كما كان رسول الله ـ ﷺ ـ يفعل إذا بلغه عن قوم شيء لايرضى عنه الله ورسوله حيث كان ينبه على الخطأ دون تعيين المخطئين .

يدل على هذا ما ورد عن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ فيما رواه البخارى فى كتاب الادب ـ باب من لم يواجه الناس بالعتاب .

قالت : صنع النبى ـ ﷺ ـ شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم ، فبلغ ذلك النبى ـ ﷺ ـ فخطب فحمد الله ثم قال : « مابال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ؟ فوالله إنى لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية » .

حيث لم يسم هؤلاء القوم .

وهذا هو غالب مافى القرآن كقوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ﴾(٧٥) .

حيث لم تصرح الآية بأسماء من عاهدوا رسول الله ثم نقض بعضهم العهد ، وقوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى ﴾(٧٦) . فقد أبهمت الآية أسماء السائلين عناية بالأمر فى ذاته . وقوله فى

---

(٧٥) من الآية : ١٠٠

(٧٦)من الآية : ١٠٨

سورة البقرة : ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ﴾[٧٧] .

فقد روى أنها نزلت فى الأخنس بن شريق وكان حلو القول والمنظر ، أظهر الإسلام أمام النبى ﷺ قائلا : الله يعلم أنى صادق ، ثم هرب بعد ذلك ومر بزرع لقوم مسلمين وماشية فأحرق الزرع وعقر الماشية .

ومن هذا القبيل أيضا قول الله سبحانه فى سورة النساء : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ﴾[٧٨] . وقوله فى سورة آل عمران : ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ﴾[٧٩] .

إذ أن إبهام القائلين فى كل هذه الآيات إهمال لشأن أشخاصهم تركيزا على العناية برد أفكارهم وبيان خطأ أقوالهم .

---

(٧٧) من الآية : ٢٠٤

(٧٨) من الآية ٥١

(٧٩) من الآية ٧٢

السبب الرابع للإبهام في القرآن

ألا يكون فى تعيينه كثير فائدة كقوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها ﴾(٨٠) .

إذ أن إبهام اسم القرية هنا باعتبار أن تعيينها ليس فيه كثير فائدة وحتى لايشتغل بها عن ماهية العبرة المستفادة من الواقعة .

والقرية المعنية هنا هى بيت المقدس ، ومثل ذلك قوله سبحانه فى سورة الأعراف : ﴿ واسألهم عن القرية﴾(٨١) .

والمراد بها أيلة أو طبرية . وقوله فى سورة يونس : ﴿ فلولا كانت قرية ﴾(٨٢) . والمراد بها نينوى . وقوله تعالى فى سورة الكهف : ﴿ أتيا أهل قرية ﴾(٨٣) . قيل إنها برقة .

---

(٨٠) من الآية ٢٥٩
(٨١) من الآية ١٦٣
(٨٢) من الآية ٩٨
(٨٣) من الآية ٧٧

السبب الخامس للإبهام في القرآن

التنبيه على تعميم الحكم كقوله تعالى فى سورة النساء : ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ﴾[٨٤] . قال عكرمة ظللت أربع عشرة سنة أسأل عنه حتى عرفته هو ضمرة بن العيص وكان من المستضعفين بمكة ، وكان مريضا ، فلما نزلت آية الهجرة خرج منها فمات فى التنعيم على مشارف مكة .

وكقوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية ﴾[٨٥] . قيل نزلت فى على بن أبى طالب كان معه أربع دوانق فتصدق بواحد نهارا وبآخر ليلا وبثالث سرا وبرابع علانية .

وقوله فى سورة المائدة : ﴿ وماعلمتم من الجوارح مكلبين ﴾[٨٦] . قيل نزلت فى عدى بن حاتم ، كان له كلاب خمسة .

---

(٨٤) من الآية ١٠٠
(٨٥) من الآية ٢٧٤
(٨٦) من الآية ٤

السبب السادس للإبهام في القرآن

الإبهام مع التعظيم بالوصف دون الاسم كقوله تعالى فى سورة النور : ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾(٨٧) .

حيث نزلت فى أبو بكر الصديق رضى الله عنه حين حلف الا ينفع مسطح بنافعة أبداً بعد ماقال فى عائشة ماقال فى حديث الإفك .

وكذلك قوله تعالى فى سورة الزمر : ﴿ والذى جاء بالصدق ﴾(٨٨) . يعنى رسول الله محمدا ﷺ . وقوله فى ذات الآية ﴿ وصدق به ﴾ يعنى أبا بكر رضى الله عنه .

فدخل فى الآية كل مصدق ، ومن ثم قال الله : ﴿ أولئك هم المتقون ﴾ .

---

(٨٧) من الآية ٢٢

(٨٨) من الآية ٣٣

السبب السابع للإبهام في القرآن

الإبهام للتحقير مع الوصف الناقص كقوله تعالى فى سورة النساء : ﴿ إن الذين كفروا بآياتنا ﴾[٨٩] . وفى سورة الكوثر : ﴿ إن شانئك هو الأبتر ﴾[٩٠] . إذ المراد فيهما العاص بن وائل .

---

(٨٩) من الآية ٥٦
(٩٠) الآية ٣

من مقاصد القرآن كما أفصحت عنه آياته

بيان أن الإسلام آخر الأديان وأن محمدا خاتم الرسل .

١ ـ فقد جاء صريحا فى القرآن أن رسول الله محمدا آخر المرسلين ، وأنه أرسل للناس أجمعين قال تعالى فى سورة الأحزاب : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾(٩١)

وقال تعالى فى سورة سبأ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾(٩٢) .

فى حين أن كل الكتب السماوية قبل القرآن فى أصلها وعلى الوجه المتداول حاليا موجهة إلى أقوام معينين .

٢ ـ الإسلام دين عام شرعه الله لربط الشعوب على اختلاف ألوانها وألسنتها ، حيث محا الله به امتيازات الأجناس والعناصر ، وقرر مبدأ المساواة العامة ، وصرح بأن الإنسانية كلها أسرة واحدة أصلها آدم وحواء وقد صارت شعوبا وقبائل لا للتنازع والتقاتل ، ولكن للتعارف وتبادل المنافع . ذلك قول الله سبحانه مخاطبا بنى الإنسان عموما : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا

---

(٩١) من الآية ٤٠ .

(٩٢) من الآية ٢٨ .

خَلَقْناكُم من ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[93] .

٣ ـ القرآن لا يقصد بالنصح والإرشاد شعبا معينا ولا أمة بخصوصها ، وإنما يخاطب النوع الإنسانى بأسره لأنه دين عام . ذلك قوله تعالى فى سورة النساء : ﴿ ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا ﴾[94] .

وقوله تعالى فى سورة الحج ﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾[95] .

ولم يرد فى القرآن مرة واحدة ياأيها العرب .

٤ ـ القرآن الكريم فيما يختص بالتشريع والأخلاق والاجتماع احتوى فقط على أصول وقوانين كلية ، تاركا الجزئيات لاجتهاد أهله يستنبطونها على حسب الزمان والمكان من كتاب الله وسنة رسوله .

مثال ذلك فيما يختص بالشريعة مبدأ العدل المطلق ومبدأ المساواة .

قال تعالى فى سورة النساء : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾[96] .

---

(٩٣) من الآية ١٣ الحجرات .
(٩٤) الآية ١٧٤ .
(٩٥) الآية ١ .
(٩٦) من الآية ٥٨ .

ومن مبدأ المساواة قال : ﴿ ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[٩٧] .

وعلى المسلمين أن يستنبطوا لأنفسهم القوانين العادلة مستمدة من الأصول المبينة فى القرآن والسنة مراعين أحوال الزمان والمكان والمصالح .

ولقد قام المسلمون الأولون بذلك فى القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الإسلام ولم يتوقفوا عن الاجتهاد لاستنباط أحكام ما استجد من واقعات إلا حين طرأ الضعف على الأمة ، ولا يزال باب الاجتهاد مفتوحا وسيظل إن شاء الله لمن توافرت لديهم شروطه من العلماء الذين وصفهم الله سبحانه فى قوله تعالى : ﴿ ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾[٩٨] .

٥ ـ من أصول الإسلام التسامح ، حيث أقامه القرآن على مبادىء ثابتة ، فقرر أن حكمة الله قضت بان يكون الناس مختلفين فى العقائد كل على حسب عقله ونظره ، ذلك قول الله فى سورة هود : ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين . إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾[٩٩] .

---

(٩٧) من الآية ١٣ الحجرات .

(٩٨) من الآية ٨٣ النساء .

(٩٩) من الآية ١١٨ .

ذلك أنه لا يستطيع أحد أن يهدى أحدا إلى مذهب أو دين إلا بإذن الله ، ذلك قول الله لرسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى سورة القصص : ﴿ إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء ﴾[100] وقال فى سورة يونس : ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين. وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ﴾[101] .

وهكذا علم القرآن المسلمين أن اختلاف الأمم فى الأديان شىء واقع بإرادة الله وحكمته ، وأنه تابع لدرجة نضج العقول والمدارك ، وأن إنسانا لا يستطيع هداية إنسان إلا بإذن الله ، وأن ليس لأحد سيطرة على قلب أحد ، وليس لأحد أن يكره أحدا على الإيمان .

نرى هذا واضحا فى قول الله سبحانه فى سورة الغاشية : ﴿ لست عليهم بمسيطر ﴾[102] وقوله فى سورة ق : ﴿ وما أنت عليهم بجبار ﴾ .[103] وقوله فى سورة الأنعام : ﴿ قل لست عليكم بوكيل ﴾[104].

وبهذا البيان من الله فى القرآن يرتفع الحقد من قلوب المسلمين بسبب اختلاف الدين مع غيرهم ، وتحل الرحمة والألفة وحسن التعامل مع أهل الأديان الأخرى .

---

(١٠٠) من الآية ٥٦ .
(١٠١) من الآيتان ٩٩ ، ١٠٠ .
(١٠٢) الآية ٢٢ .
(١٠٣) من الآية ٤٥ .
(١٠٤) من الآية ٦٦ .

ذلك قول الله فى سورة الممتحنة : ﴿ لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾[(١٠٥)] . وحتى مع وقوع الحيف من غير المسلمين يأمر الله المسلمين بالتزام قواعد العدل فى التعامل مع أولئك ، ذلك قول الله فى سورة المائدة : ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾[(١٠٦)] .

أى لا تحملنكم عداوتكم لقوم على ظلمهم بل اعدلوا معهم هو أقرب للتقوى . ولقد وصى القرآن المسلمين بالعدل حتى فى مواطن القتال .

ذلك قول الله سبحانه فى سورة البقرة : ﴿ وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾[(١٠٧)] . ذلك عدل الله ونوره الذى أفاضه على أمة الإسلام فى القرآن لم تسبق به أمة أخرى فى الماضى والحاضر .

٦ ـ ليس فى الإسلام رياسة دينية تحتكر الحل والعقد فى أصول الدين وفروعه وإنما فيه الدعوة إلى تخصص طائفة متفقهة فى الدين من أصوله . ذلك قول الله سبحانه فى سورة

---

(١٠٥) الآيتان ٨ ، ٩ .
(١٠٦) من الآية ٨ .
(١٠٧) الآية ١٩٠ .

التوبة : ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾[١٠٨] .

وقوله تعالى في سورة النساء : ﴿ ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾[١٠٩] .

فالعلم بالإسلام أصوله وفروعه شائع بين المسلمين ليس اختصاصا لأحد ، وإن كان لابد من وجود طائفة متخصصة تكون المرجع للمسلمين فى التعرف على أحكام الإسلام تخصصا وليس اختصاصا .

٧ ـ الإسلام ذم الجمود ونهى عن التعصب للوراثة .

ذلك قول الله فى سورة الزخرف : ﴿ وكذلك ماأرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون قال أولوجئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾[١١٠] .

ثم بالقول الفصل قضى الإسلام على التقليد وعلى المقلدين ، ونصح بالنظر فى الكون وتعرف أسرار هذه المخلوقات فقال الله فى سورة الروم : ﴿ قل سيروا فى الأرض فانظروا ﴾[١١١] وقال فى سورة الحج : ﴿ أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار

---

(١٠٨) الآية ١٢٢ .
(١٠٩) الآية ٨٣ .
(١١٠) الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .
(١١١) من الآية ٤٢ .

ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾[112] .

٨ ـ لقد جاء الإسلام على فترة من الرسل وكان الناس قد فرقتهم الأهواء والعصبيات واتبع الرسول أفراد قلائل كانوا يخافون على دينهم حتى قال قائل منهم : أترى يجىء علينا وقت نعبد الله فيه لا نخشى غيره ؟ فأنزل الله على رسوله قوله فى سورة النور : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾[113] .

وقد صدق الله وعده فانتشر الإسلام وامتلأت به جنبات الأرض ونحن المسلمين نترقب تحقيق وعد الله الذى قد بدت بوادره لتعم آيات الله الآفاق جميعا .

ذلك قول الله فى سورة فصلت : ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ﴾[114] .

نعم . إن وعد الله دائما لا يتخلف ولا يختلف . ذلك الدين الحق : ﴿ ولتعلمن نبأه بعد حين ﴾[115]

---

(١١٢) الآية ٤٦ .

(١١٣) الآية ٥٥ .

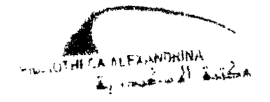
(١١٤) الآية ٥٣ .

(١١٥) الآية ٨٨ سورة ص .

٩ ـ ذلكم هو الإسلام فى مقاصده وتربيته الإنسان ، فيه تطهير لنفس الإنسان وتصحيح لسلوكه ليعيش نقيا تقيا يعمر الدنيا وتعمر به على أساس من التقوى والعلم والحكمة والمساواة .

ذلكم القرآن الكريم كتاب الله الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حوى لكم علوم الدين ودستور الحياة الصالحة ، فاتبعوه تهتدوا وتسعدوا واحكموا به تعدلوا ، ولا تعدلوا عنه فتهلكوا .

﴿ إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا ﴾[١١٦] .



(١١٦) من الآية ٣ سورة الطلاق .

القرآن معجزة نبى الإسلام

جرت حكمة الله أن يؤيد أنبياءه ورسله بالمعجزات الباهرات ، وبالبراهين الدامغة التى تدل على صدقهم ، وفى هذا روى عن رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله : (مامن نبى من الأنبياء إلا أعطى من الآيات مامثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا) . رواه البخارى ..

١ ـ ذلك أن معجزة القرآن ـ فى ذاته وبما حوى من المعجزات الكثيرة : ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾[117] قد كتب الله لها الخلود ، فلم تذهب أو تذبل بمضى الأيام ، ولم تمت بموت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بل ما تزال قائمة تحاج كل مكذب وتتحدى كل منكر وتدعو الناس جميعا إلى مافى القرآن من هداية الإسلام وسعادة الإنسانية .

ومن هذا يظهر الفرق واضحا بين معجزات نبى الإسلام محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعجزات إخوانه الأنبياء عليهم أزكى الصلاة وأتم التسليم .

إذ أن معجزة القرآن تحوى آلاف المعجزات الباقية إلى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها تهدى الناس .

---

(١١٧) من الآية ٥٣ فصلت .

﴿ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما ﴾(١١٨) .

تلك معجزة نبى الإسلام ، أما معجزات سائر الرسل فمحدودة العدد قصيرة الأمد ماتت بموتهم ، وانتهت بذهاب أزمنتهم .

كانت معجزاتهم حسية ، كعصا موسى التى انقلبت حية تسعى ، وناقة صالح التى خرجت من الصخر ولها رغاء ، أو شفاء مريض ، أو إبراء أعمى كما كانت معجزة عيسى عليه السلام .

أما القرآن فهو المعجزة الكبرى للرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو خالد إلى ماشاء الله : **﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾**(١١٩) .

ولقد تحدت هذه المعجزة كل الخلائق فما واجهها مخلوق أيا كان وضعه أو وصفه قال تعالى فى سورة الإسراء : **﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾**(١٢٠) .

ثم تحدى القرآن العرب أصحاب هذه اللغة التى نزل بها وفرسان البلاغة والبيان تحداهم بأن يأتوا بمثله .

---

(١١٨) الآيتان ٩ ، ١٠ الإسراء .
(١١٩) الآية ٩ الحجر .
(١٢٠) الآية ٨٨ .

﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾[١٢١] .

﴿ قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين ﴾[١٢٢] . ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور فقال فى سورة هود : ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون ﴾[١٢٣] .

ثم تحداهم بسورة من مثله تصدق بأقصر سورة فى القرآن فقال فى سورة البقرة : ﴿ وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾[١٢٤] .

هذا التحدى لأهل البلاغة والفصاحة أهل هذه اللغة التى هى لسانهم ، فما استطاعوا ذلك بالرغم من انفساح الوقت ، إذ لم يضرب لهم أجلا للمعارضة ولم يحدد زمنا للمناقضة .

والحديث عن القرآن المعجزة الخالدة قد فصله العلماء ، كل فى الجانب الذى يحسنه فما استوفوا ما فيه ، وما بلغوا غايته .

---

(١٢١) الآية ٣٤ الطور .
(١٢٢) الآية ٤٩ القصص .
(١٢٣) الآيتان ١٣ ، ١٤ .
(١٢٤) الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .

نقل أن الأصمعى خرج ذات يوم فسمع جارية تنشد أبياتا من الشعر أعجبته فقال لها : قاتلك الله ، ما افصحك . فقالت له : او يعد هذا فصاحة بعد قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾[125] . ثم قالت له : لقد جمعت هذه الآية ـ على وجازتها ـ بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين .

أما الأمران فهما : أرضعيه وألقيه فى اليم ، وأما النهيان فهما : لا تخافى ولا تحزنى وأما الخبران فهما : أوحينا وخفت ، وأما البشارتان فهما : إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين . سبحان الله الذى فهم هذه الجارية البدوية صغيرة السن ، هذا العلم . وروى أن ابن المقفع الكاتب البليغ المشهور حاول معارضة القرآن ذات مرة فسمع صبيا يقرأ قول الله تعالى : ﴿ وقيل ياأرض ابلعى ماءك وياسماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعداً للقوم الظالمين ﴾[126] .

فمزق صحفه التى كان قد بدأ بها معارضة القرآن وكسر اقلامه ، وقال : ـ والله هذا مما لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله .

هذا هو القرآن ، كتاب الله إلى الناس جميعا المعجزة الخالدة ، على المسلمين أن يعملوا به ، وأن يحفظوه ويعلموه

---

(١٢٥) الآية ٧ القصص .

(١٢٦) الآية ٤٤ هود .

أولادهم ، فبه وفيه الحياة السعيدة المطمئنة ، وفيه الشريعة العادلة المستمرة وفيه العقيدة الصافية وفيه وبه السكينة والطمأنينة ، وليس بعد قول الله تعالى :

﴿ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ﴾[١٢٧] . .

---

(١٢٧) الآية ٩ الإسراء .

الرسول فى القرآن

قرر القرآن أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشر مثل من سبقه من الرسل ، ذلك قوله تعالى فى سورة الكهف : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إِلَيَّ أنما إلهكم إله واحد ﴾[١٢٨] وقوله تعالى فى سورة الأحقاف : ﴿ قل ماكنت بدعا من الرسل ﴾ .[١٢٩] .

ولما جادله قومه وسألوه أن يأتيهم بما يعجز عنه الناس اوحى الله إليه قرآنا يجيب به ، مقررا أنه لم يخرج عن كونه بشرا ، نرى هذا الحوار فى قوله تعالى فى سورة الإسراء: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا. أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا.أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا ﴾[١٣٠]

نعم .. محمد بشر رسول ، أكد القرآن ذلك وسجله فى غير موضع من آياته ذلك قول الله فى سورة البقرة : ﴿ كما أرسلنا

---

(١٢٨) من الآية ١١٠ .
(١٢٩) من الآية ٩ .
(١٣٠) من الآيات ٩٠ ـ ٩٣ .

فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون ﴾[١٣١] .

وفى سورة التوبة : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾[١٣٢] .

ولأنه بشر ، فله خصائص البشر ، يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ، ويتزوج النساء ويولد له ، كما كان لمن سبقه من الرسل أزواج وذرية ، وهو رسول الله يبلغ آياته وأحكامه ويجتهد فيما يقع من حوادث ، فيقره الله على اجتهاده أو يعاتبه الله عليه ، كما فى قصة أسرى بدر وإطلاق سراحهم بالفدية . وكما فى قضية تزوجه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمطلقة ابنه بالتبنى ، تشريعا وتعليما للأمة بتحريم التبنى وبإبطال ما كان عرفا عند العرب ، فيما وقع من رسول الله مع واحدة من أزواجه وتحريمه على نفسه بعض ما أحل الله إرضاء لها ، بل وعتاب الله رسوله فى شأن عبد الله بن أم مكتوم : ﴿ عبس وتولى .أن جاءه الأعمى . ومايدريك لعله يزكى .أو يذكر فتنفعه الذكرى . أما من استغنى . فأنت له تصدى . وما عليك ألا يزكى .وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى . كلا إنها تذكرة . فمن شاء ذكره ﴾[١٣٣] .

---

(١٣١) الآية ١٥١ .
(١٣٢) الآية ١٢٨ .
(١٣٣) الآية ١ ـ ١٢ عبس .

نعم .. إنها تذكرة وفقه لأمة القرآن الا يعرضوا عن ضعفائهم وفقرائهم الذين امتلأت قلوبهم إيمانا ويقينا بهذا القرآن ، أملا فى استجابة من أعرض ونأى بجانبه . إنها تذكرة لهؤلاء الذين اصطنعوا المراء والجدل وتشكيك المؤمنين .

نعم : إنها دعوة وجهها الله سبحانه لرسوله ومن ورائه الدعاة إلى الإسلام ألا تعرضوا عن تعليم طالب العلم المخلص فى طلبه ، تصحيحا لعقيدته وتثبيتا لإيمانه ، وتعليما لأحكامه ، التفاتا وأملا فى أولئك الذين انغلقت قلوبهم عن ذكر الله ، والفقه فى دينه .

وإذا كان القرآن قد قرر بشرية رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم-الذى أوحى إليه هذا القرآن ، وأنه يجرى عليه مايجرى على سائر البشر فى لوازم الحياة البشرية ومتطلباتها فإن القرآن أعلمنا أن هذا الرسول ليس بشرا عاديا على المستوى الذى عرف بين الناس وإنما كان إنسانا اختصه الله بما هيأه لتلقى الوحى وملاقاة الملك ، وأضفى عليه ما أعده لتحمل الأمانة وأداء الرسالة الخاتمة لرسالات الله إلى خلقه ، فأحاطه بعنايته منذ طفولته ، فنشأ مرعيا من الله ، كما تحدث القرآن .

ففى سورة الضحى : ﴿ ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فأغنى ﴾[١٣٤] .

---

(١٣٤) الآيات من ٦ ـ ٨ .

وأعطاه ما يكسب به مودة الناس وتقديرهم وارتباطهم به .

ففى سورة آل عمران : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾[١٣٥] . ثم تعهده الله بالرعاية والحماية بعد الرسالة . ففى سورة النساء : ﴿ ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شىء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴾[١٣٦] . وفى سورة الإسراء : ﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ﴾[١٣٧] .

ويسبغ الله على رسوله حمايته حين أمره بالبلاغ والإبلاغ للناس ، ذلك قول الله فى سورة المائدة : ﴿ ياأيها الرسول بلغ ماأنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾[١٣٨] .

نعم : قد عصم الله نبيه محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الناس . فكم حاول المشركون التعدى عليه والقضاء عليه ، يظهر ذلك جليا مما دار بين رسول الله وبين أعدائه من معارك ، حفظه الله ودافع عنه ومهد له سبيل النصر والفوز .

---

(١٣٥) من الآية ١٥٩ .
(١٣٦) الآية ١١٣ .
(١٣٧) الآية ٧٤ .
(١٣٨) من الآية ٦٧ .

أدب الدعوة كما علم الله رسوله في القرآن

لنتلو قول الله فى سورة يونس : ﴿ قل ياأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل ﴾[١٣٩] .

هذه مهمته فى الرسالة والدعوة إلى دينه الذى كلفه الله بإبلاغه ، ثم رسم له طريق الدعوة فى قول الله فى سورة النحل : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾[١٤٠] . ويعرض لنا القرآن فى الكثير من الآيات لغة العرض والحوار بين الرسول وأولئك الذين تلقوا عنه الدين .

ففى سورة الزمر : ﴿ قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين . وأمرت لأن أكون أول المسلمين . قل إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم . قل الله أعبد مخلصا له دينى. فاعبدوا ما شئتم من دونه ﴾[١٤١] .

وفى سورة الشورى : ﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت

---

(١٣٩) الآية ١٠٨ .
(١٤٠) من الآية ١٢٥ .
(١٤١) الآيات من ١١ ـ ١٥ .

لاعدل بينكم   الله ربنا وربكم   لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير ﴾(١٤٢) .

وفى سورة يونس : ﴿ وإن كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون ﴾(١٤٣) .

وهكذا توالت آيات القرآن توجه النبى إلى حوار عف مستقيم ، قويم الحجة .

ففى سورة آل عمران : ﴿ فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن   وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ﴾(١٤٤) .

هذه بصائر من القرآن للدعاة إلى الله فهم الأمناء على الدعوة إلى الإسلام عليهم أن يتبعوا توجيهات القرآن إلى رسول الله فى الحوار والمحاجة لتصل أقوالهم إلى قلوب الناس ، فينيبوا إلى ربهم خشعا سجدا صالحين معلمين . وبذلك تنجاب عنا ظلمات الحياة ، وينير الله بصائرنا بالهدى ودين الحق . ارتفعوا أيها الدعاة عن اللدد واللجاجة فيما لا نفع فيه للناس فى دينهم ودنياهم .

---

(١٤٢) الآية ١٥ .
(١٤٣) الآية ٤١ .
(١٤٤) الآية ٢٠ .

ذلك قول الله لرسوله فى سورة هود : ﴿ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير ﴾ .[145] هذا القرآن قد تأدب به الرسول وعلمه الله به مالم يكن يعلم .

فقد وجه الرسول إلى الإقبال على من آمن به وصدق رسالته مهما كان وضعه فى المجتمع ..

ذلك قول الله فى سورة الأنعام : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين ﴾[146] .

وقول الله سبحانه فى سورة الكهف : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا.وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾[147] .

ونحن نتحدث بما تحدث به القرآن عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نضع أمام الذين يمارون فى سنة رسول الله ـ أو يقيسونها بعقولهم هذه الحقيقة التى قررها القرآن وهى : ـ

---

(١٤٥) الآية ١١٢ .

(١٤٦) الآية ٥٢ .

(١٤٧) من الآيتين ٢٨ ، ٢٩ .

إنه وإن كان هذا الرسول إنسانا ، لكنه نبى ورسول ، تلقى وحى ربه ، وأمر بإبلاغه إلى الناس كافة ، ليس هذا فحسب ، وإنما كلفه الله ببيان وشرح وحيه وآياته ...

ذلك قول الله فى سورة النحل : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾(١٤٨) .

وقوله فى سورة النحل أيضا : ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾(١٤٩) . وكانت طاعة الرسول طاعة لله ، كما هو منطوق قول الله فى سورة النساء : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾(١٥٠) .

وآيات كثيرة تقرر ذلك وتؤكده وتجعل طاعة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ طاعة لله . ومن البدهى أن يكون عصيانه والإعراض عن سنته قولا أو فعلا أو تقريرا عصيانا لمن أرسله الله وأوحى إليه ..

فهل مع هذه الأوامر القطعية يقوم من يناهض السنة وينحيها عن الأعمال ، ويقول على الله وعلى رسوله بغير علم .

على هؤلاء الذين يصطنعون الحجج أن يعلموا أن حجتهم داحضة عند ربهم وليسمعوا قول الله فى القرآن فى سورة

---

(١٤٨) من الآية ٤٤ .
(١٤٩) الآية ٦٤ .
(١٥٠) من الآية ٨٠ .

النساء : ﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ﴾(١٥١) . وقول الله فى سورة الانفال : ﴿ ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ﴾(١٥٢) .

وفى سورة المجادلة : ﴿ إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين ﴾(١٥٣) .

بل وفى سورة الأحزاب قول فصل ـ قول الله ـ ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾(١٥٤) .

هذه سنة رسول الله يأمر القرآن بالتزامها ، فإنها وحى من الله وبأمره ، ليس ذلك فحسب ، بل لنسمع تأديب الله للمؤمنين مع رسوله : ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لِوَاذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾(١٥٥) .

---

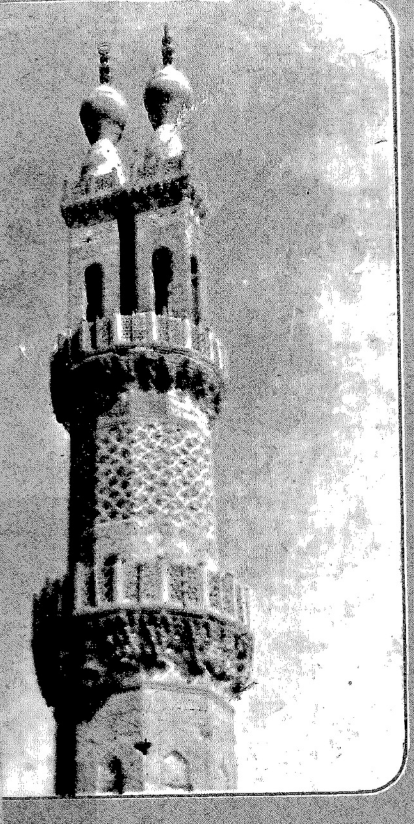
(١٥١) الآية ١٤ .
(١٥٢) من الآية ١٣ .
(١٥٣) الآية ٢٠ .
(١٥٤) من الآية ٣٦ .
(١٥٥) الآية ٦٣ النور .

ويتصل بهذا قول الله فى سورة الحجرات : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم . ياأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون.إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾[156] .

---

(١٥٦) الآيات ١ ـ ٣ .

الموضوع | الصفحة



مطابع روز اليوسف